

160145 - حديث إن الله عز وجل خلق خلقه في ظلمة ثم ألقى عليهم من نوره

السؤال

أنا متحير بخصوص حديث ، هل هو صحيح أم ضعيف ، وهل هو مقبول أم لا يتوافق مع القرآن والسنة .
روى ابن عمر - في الترمذي وعند أحمد والطبراني والحاكم في المستدرک والبيهقي في السنن الكبرى - أن النبي صلى الله عليه وسلم قال:
(إن الله عز وجل خلق الخلق في الظلام ثم ألقى عليهم من نوره ، فمن مسه النور فقد هدي ، ومن لم يمسه النور فقد ضل ، جف القلمإلى آخر الحديث) جزاكم الله خيرا .

الإجابة المفصلة

أولا :

هذا الحديث يرويه الصحابي الجليل عبد الله بن عمرو بن العاص فيقول : سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول :
(إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ خَلَقَ خَلْقَهُ فِي ظُلْمَةٍ ، ثُمَّ أَلْقَى عَلَيْهِمْ مِنْ نُورِهِ يَوْمَئِذٍ ، فَمَنْ أَصَابَهُ مِنْ نُورِهِ يَوْمَئِذٍ اهْتَدَى ، وَمَنْ أَخْطَاهُ ضَلَّ) فَلِذَلِكَ أَقُولُ - في رواية أن القائل هو عبد الله بن عمرو - : جَفَّ الْقَلَمُ عَلَى عِلْمِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ .
أخرجه الإمام أحمد في " المسند " (11/219)، وابن أبي عاصم في " السنة " (244)، وابن حبان (14/43)، والحاكم في " المستدرک " (1/84) من طريق ربيعة بن يزيد .
وأخرجه الإمام أحمد في " المسند " (11/441) والنسائي في " السنن " من طريق عروة بن رويم .
وأخرجه الترمذي (2642) والحاكم في " المستدرک " (1/84) من طريق يحيى بن أبي عمرو السيباني .
ثلاثتهم (ربيعة بن يزيد ، وعروة بن رويم ، ويحيى بن أبي عمرو) عن ابن الديلمي ، عن عبد الله بن عمرو به .
وابن الديلمي اسمه عبد الله بن فيروز : وهو من كبار التابعين ، وثقه ابن معين ولم يجرحه أحد ، والرواية عنه من الثقات الحفاظ .
لذلك قال الترمذي رحمه الله :
" حديث حسن " انتهى .
وقال الحاكم رحمه الله :
" هذا حديث صحيح قد تداوله الأئمة ، وقد احتجا بجميع رواته ، ثم لم يخرجاه ، ولا أعلم له علة " انتهى .
وقال الذهبي رحمه الله :
" على شرطهما ، ولا علة له " انتهى من " التلخيص " . ولكن نبهه إلى أن عبد الله بن فيروز ليس على شرط البخاري ومسلم .
وقال الهيثمي رحمه الله :
" رجال ثقات " انتهى باختصار من " مجمع الزوائد " (7/193)
وقال الشيخ الألباني رحمه الله :

"إسناده صحيح رجاله كلهم ثقات" انتهى من "السلسلة الصحيحة" (رقم/1076)

ثانيا :

فإن قال قائل : هذا الحديث يدل على أن سبب دخول الناس الجنة أو النار هو الصدفة والاتفاق وليس الخُلُق والعمل ، فالسعيد مَنْ أصابه من نور الله عز وجل بمحض المصادفة في ذلك الموقف الذي خلق الله فيه الخلق ، والشقي مَنْ حُرِمَ ذلك النور فالجواب أن مَنْ أصابه من نور الله الذي ألقاه - كما يخبر هذا الحديث الصحيح - لم يصبه على سبيل المصادفة ، وإنما أصابه لأن الله عز وجل كان يعلم - بعلمه الأزلي - أن هذه النسمة ستكون صالحة تقية عابدة لله عز وجل في الدنيا ، فقدر لها أن يصيبها من نور الله في ذلك الموقف .

ومن علم الله عز وجل - بعلمه الأزلي - أنه سيعمل سيئا في حياته ، وسيكون مع الأشقياء الفاسقين ولن يؤمن مع المؤمنين : فهذا يحرمه سبحانه وتعالى من ذلك النور في بداية الخلق . وهذا معنى قول عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما في آخر الحديث : (جف القلم على علم الله عز وجل)

يقول الحافظ ابن حجر رحمه الله :

" (جف القلم) أي : فرغت الكتابة ، إشارة إلى أن الذي كتب في اللوح المحفوظ لا يتغير حكمه . قوله : (على علم الله) أي : على حكمه ؛ لأن معلومه لا بد أن يقع ، فعلمه بمعلوم يستلزم الحكم بوقوعه " انتهى من " فتح الباري " (11/491)

لذلك بوب الحافظ ابن حبان رحمه الله على الحديث بقوله :

" ذكر الإخبار عن علم الله جل وعلا مَنْ يصيبه من ذلك النور أو يخطئه عند خلقه الخلق في الظلمة " انتهى من " صحيح ابن حبان " (14/44)

وبوب عليه الآجري رحمه الله بقوله :

" باب ذكر السنن والآثار المبينة بأن الله عز وجل خلق خلقه ، من شاء خلقه للجنة ، ومن شاء خلقه للنار ، في علم قد سبق " انتهى من " الشريعة " (ص/741) دار الوطن - تحقيق عبد الله الدميحي .

وقال البيهقي رحمه الله :

" باب ذكر البيان أن الله عز وجل خلق خلقه في ظلمة ، ثم ألقى عليهم من نوره :

فمن علم الله إيمانه ، وأمر القلم فجرى به وكتب من السعداء : أصابه من ذلك النور فاهتدى . ومن علم الله كفره ، وأمر القلم فجرى به وكتب من الأشقياء : أخطأه ذلك النور فضل .

قال الله عز وجل : (أَوْ مَنْ كَانَ مَبِينًا فَأَحْيَيْنَاهُ وَجَعَلْنَا لَهُ نُورًا يَمْشِي بِهِ فِي النَّاسِ كَمَنْ مَثَلُهُ فِي الظُّلُمَاتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِنْهَا) الأنعام/122.

وقال الله عز وجل : (اللَّهُ وَلِيُّ الَّذِينَ آمَنُوا يُخْرِجُهُمْ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ) البقرة/257.

وقال : (أَفَرَأَيْتَ مَنْ اتَّخَذَ إِلَهَهُ هَوَاهُ وَأَصْلَهُ اللَّهُ عَلَى عِلْمٍ) الجاثية/23 " انتهى من " القضاء والقدر " (1/256) طبعة مكتبة الرشد

ولمزيد من الفائدة حول القدر ، ينظر جواب السؤال رقم (34732) ، و (20806) ، و (96978)

والله أعلم .